

حقيقة الإيمان



قال تعالى: (لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولِّتُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) (البقرة/ 177).

الإيمان هو أن يتحوّل الإنسان المسلم إلى شخصية إسلامية: بفكرٍ إسلامي، وعاطفة إسلامية، وسلوك إسلامي، وعلاقات إسلامية، ومواقف منسجمة مع الدِّين الذي هو عماد هذه الشخصية.

البرُّ هنا يرتبط بالجانب العملي للحياة، والبرُّ العملي (وهو التوسُّع في فعل الخير)، برُّ فكري وعقدي، فالعقيدة الإسلامية هي التي تعطي العمل دوافعه، فلا يكتفي المؤمن بالإيمان دون العمل. والإسلام ينظر إلى الخير من خلال نموذج المجسّد له، والمؤمن الذي يعيش الجفاء والجفاف والسلبية هو

في غفلة من إيمانه .

الإيمان كلُّهُ يتجزأ، والشخصية الإسلامية تُمثِّل منظومة قيمية: إيمان بالله ورسوله، والانفتاح على حاجات الناس، والمصلحة بالله من خلال (الصلاة)، لتتفجَّر معاني الخير والشعور بالمسؤولية، والعطاء العملي (الزكاة)، و(الوفاء بالعهد)، تعبيراً عن المصدق الداخلي، ومراعاة سلامة المجتمع في علاقاته، و(المصدق) في المواقف العملية كونه يُجسِّد الحقيقة، و(التقوى) التي غايتها رضا الله دائماً .

تلك هي الأسس التي ننطلق منها نحو حياة خيررة. وقال عز وجل: (أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) (العنكبوت/ 2-3).

الإيمان عملٌ كَلَامُهُ، وفكرٌ يتحرَّك في العقل والقلب والحياة، فلا بدَّ من دليل يدلُّ عليه، فهل يكفي أن يقول شخص عن نفسه إنَّه بطال وصدِّقُ ادِّعاءه، أم أنَّنا نطالبه بإثبات حقيقة بطولته؟!

التجربة الحيَّة تُظهر الجانب الخفيَّ من شخصية الإنسان، وعند الامتحان يُكرَّم المرءُ أو يُهان، وكلُّ امتحان تقوية للإيمان، وإبراز لأفضل ما هو موجود من خصال داخل الإنسان المؤمن. إنَّ النار تُنَقِّي الذهب ليكون خالصاً من الشوائب، فيغدو معدناً نفيساً، والماس أصله فحم، ولكنَّه من شدة الضغط والحرارة يتحوَّل إلى ألماس غالي الثمن، وكذلك المؤمن المُبتلى.

إنَّ الابتلاءات والامتحانات التي نتعرَّض لها، تُبَيِّنُ (الإيمان الشكلي) من (الإيمان الحقيقي) والسباحة ضدَّ التيار شأن الأقوياء، وأمَّا الضعفاء فيسبحون في المياه الهادئة، ومع مجرى التيار.